Marxist philosophy and economic thought in Rosa Luxemburg

Atheer Riyadh Ibrahim
athory2000@gmail.com
ASS.PROF. Mohammed Abdullah Al-Khalidi, PHD
University of Baghdad / College of Arts –
Department of Philosophy

DOI: 10.31973/aj.v2i136.1298

Abstract

Rosa Luxemburg represented the German left-wing movement, and became one of the most prominent Marxist figures of the revolutionary workers' movement that worked to organize the party and work to confront the problems hindering the revolutionary movement of the proletariat, as well as it was able to make a significant contribution to the formulation and development of the concepts of Marxism in freedom and revolution and social change Freeing humanity from the raging capitalist monster. Rosa Luxemburg's lifetime was not at all similar to any of her contemporary women hard time epoch, she fought for renewing ideas and fought for liberation and shared goals and visions with the world in order to apply justice and establish the supreme principles of society as a whole, by fiercely fighting imperialism and capitalism, as she carried attitudes and ideas that transcend Being a woman who rejects reality in the eyes of some, and a fierce struggle that cannot compromise for the sake of her case in the eyes of others, but rather extracts respect from her opponents in a way that makes her perpetuation an imperative in contemporary political thought in general, and Marxist philosophical thought in particular. And cosmic political thought as a whole.

Key words: Rosa Luxemburg, Marxism, economics, thought.

الفلسفة الماركسيّة والفكر الاقتصاديّ عند روزا لوكسمبورغ

الباحث أثير رياض ابراهيم
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم الفلسفة
athory2000@gmail.com

أ.م.د. محمد عبد الله الخالدي
جامعة بغداد / كلية الآداب
قسم الفلسفة

(مُلَخَّصُ البَحث)

مثلت روزا لوكسمبورغ الاتجاه اليساريّ الألماني، وغدت من أبرز الشّخصيات الماركسيّة للحركة الثّورية العمالية التي عملت على تنظيم الحزب والعمل على مواجهة المشاكل التي تعرقل الحركة الثّورية للبروليتارية، وكذلك استطاعت أن تسهم إسهاماً كبيراً في صياغة وتطوير مفاهيم الماركسيّة في الحرية والثورة والتغير الاجتماعيّ، وعملت بجهد على تحرير الانسان من هيمنة الرّأسماليّة واستغلالها. ولم تكن حياة روزا لوكسمبورغ تشبه على الاطلاق أيا من نساء عصرها العصيب، فهي ناضلت من أجل تجديد الأفكار وحاربت من اجل التحرر وتقاسمت الاهداف والرؤى مع العالم لكي تطبق العدالة وترسخ المبادئ السامية للمجتمع كله، بمحاربتها للإمبريالية والرأسماليّة، فهي بما حملته من مواقف وأفكار تتعدى كونها امرأة رافضة للواقع ومناضلة شرسة لا يمكن أن تتهاون من اجل قضيتها، وأنها انتزعت الاحترام من خصومها بطريقة تجعل من تخليدها أمراً لابد منه في الفكر الماركسي خصوصاً، والفكر السياسي عموماً.

الكلمات المفتاحية: روزا لوكسمبورغ، الماركسيّة، الاقتصاد، الفكر.

الفكر الاقتصادي عند روزا

اعتنت روزا بالجانب الاقتصاديّ، لاسيما أن أول أعمالها كان ((تطور الصّناعة في المملكة البولندية))، وهذا العمل كان يعد اطروحة عملية لها، وقد دافعت عنها في سويسرا وحصلت على الدّكتوراه فيها، وهذه الاطروحة التي قدمتها كان انبثاق لموضوع كان سائد في حينها وهو الحركة العمالية البولندية. اما كتابها ((الميليشا والعسكرة)) تحتل مكان مهم مع تمتعها بأهمية كبيرة بالنسبة لموضوع تشكل نظرية تراكم المال لديها (صالح، ٢٠٠٩، ص٢٣).

إن تبني النّظرية الماركسيّة من قبل روزا لا يعني أبداً التعامل الدّوغمائي مع منطلقاتها النّظرية والمنهجية، فهي تنطلق من موقف مستقل خاص بها تجاه ماركس وأفكاره يقوم على أساس الاحترام لنتاجه المعرفي، فضلا عن العلاقة النّقدية بمجموع الجهد الثّري لمؤلفه ((الرأسمال)). وهي في هذا الجانب ترى أن مذهب ماركس لا يعد انجيلا يقدم دائما حقائق

جاهزة ومشروعة إلى نهاية المطاف، وانما يمثل معينا لا ينضب للعمل الفكري اللّاحق فضلا عن الصّراع من اجل الحقيقة (صالح، ٢٠٠٩، ص١٧). فترى أن «ما خلقه ماركس، وهو كل جبار كإنجاز علمي، يتخطى المتطلبات البسيطة للصراع الطّبقي الذي خلق تلبية لأغراضه. فقد أعطى ماركس بتحليله المفصل والشامل للاقتصاد الرّأسماليّ وبطريقته في البحث التاريخي التي تجد مجالاً للتطبيق لا حدود له، أعطى أكثر بكثير مما تستدعيه الحاجة المباشرة لخوض الحرب الطّبقية عمليا»(روزا، ١٩٧١، ص٨٧).

هكذا نجد ان أفكار روزا تنقسم إلى ثلاثة افكار رئيسة، وهي(فرحان، ٢٠١٩، ص٣٧٤-٣٧٥):

١. رأيها في العلاقة بين الاشتراكيّة والنزعة القومية. ففي هذا الجانب نجدها تحدد رأيها وموقفها عن طريق تحليل عيني لكل نزعة قومية على حدة، وأنها رأت مشروعية شعوب البلقان من التحرر من السيطرة التركية التي كانت هذه السلطة تضع عراقيل امام التقدم، واعدت النّزعة القومية البولندية نزعة بالية تجاوزها الزّمن، ذلك لأن البروليتاريا البولونية اصبحت قادرة لا على مهمة الانفصال بل على مهمة النّضال المشترك مع الرّوس في سبيل الاشتراكيّة.
٢. رؤيتها وموقفها من دور الحزب الاشتراكيّ بالنسبة للعمل الجماهيري وكذلك بالنسبة للاضراب العام. فهي كانت بين حين وآخر تدعو إلى تكوين حزب منظم يقوم على أسس ديمقراطية، يعمل على خلق حركة جماعية بين العمال بتبني مطالبهم الاقتصاديّة وتنظيم الاضرابات، وهذا الحزب يقوم في الوقت نفسه بنضال سياسيّ من أجل تحقيق الحريات الدّيمقراطية، ولكنه يحتفظ باستقلاله الكامل عن جميع الأحزاب البورجوازية.
٣. محاولتها مراجعة المذهب الاقتصاديّ الماركسيّ في موضوع ((تراكم رأس المال)). فنجدها معارضة للرؤية الإصلاحية حول تكيف تدريجي للنظام الرّأسماليّ، وترى أن الانتعاش الاقتصاديّ الذي حدث في نهاية القرن التاسع عشر هو نتيجة عارضة لاتساع المشاريع الامبريالية، واما الازمات ستتعاقب بعنف لاحقا بزيادة الرّأسمال المجمد.

وترى روزا أن معرفتنا بالأشكال الاقتصاديّة القديمة والبدائية إلى الحقبة قريبة جدا. فأول النّصوص حول الاشتراكيّة العلمية فكانت مع ماركس وانجلز، فهما اختزلا تاريخ المجتمعات جميعها بكونه تاريخ صراع طبقات، ولكن بعدهما بدأت الاكتشافات الجديدة تكذب رأيهما، ولكن مع حلول عامي ١٨٥١ و١٨٥٣ وصدور كتاب جورج مور الذي حمل عنوان ((مدخل إلى تاريخ تكون السوق والمزرعة والقرية والمدينة والسلطات العامة))، فهذا المؤلف –حسب

رؤيتها- كان حدثاً بحد ذاته، لأنه القى ضوء جديد على الماضي الألماني وعلى البنية الاجتماعيّة والاقتصاديّة للعصر الوسيط(روزا، د.ت، ص٧-٨).

ترى روزا أن الاهتمام بالربح هو المهيمن على طريقة الإنتاج الرّأسماليّ. فهذا الموضوع يعتبر المعنى والغاية من الإنتاج لكل رأسماليّ، لأنه يؤدي عاما بعد عام لملء جيوب الرّأسماليّ بـ((دخل)) صاف. إن القانون الأساسيّ للإنتاج الرّأسماليّ ليس فقط الرّبح بذهب لامع، بل تحقيق ربح متنام مستدام. فالرأسماليّ لا يقتصر استخدامه لثمرة استغلاله من اجل ترفه الشّخصي فقط، بل يستخدمه من اجل ازدياد الاستغلال في حد ذاته. فالجزء الاكبر من الرّبح المتحقق إذ سيتحول مجددا إلى رأس مال. وهكذا يتراكم رأس المال حسب الفهم الماركسيّ، فالإنتاج الرّأسماليّ ما هو الا شرط ونتيجة للتراكم الرّأسماليّ(روز، ٢٠١٦، ص٢٥).

اما مع بداية القرن التاسع عشر، وتحديدا مع هيمنة الرّأسماليّة، خاضت السياسة الاستعمارية الاوروبية طرق ودروب عدة وجديدة. فلم تقتصر هذه السياسة على عملية نهب سريعة لكنوز البلدان المستعمرة، بل ايضا لثرواتها الطّبيعية المكونة من المعادن الثّمينة والجواهر الغالية فضلا عن العبيد، واول من قام بها هم الإسبانيون والبرتغاليون(روزا، د.ت، ص١٥-١٦).

وترى روزا أن «مصلحة الرّأسماليّ فيما يتعلق بتقنية الإنتاج تتفق إلى حد معين مع تقدم وتطور الاقتصاد الرّأسماليّ. ومصلحته ذاتها هي التي تدفعه إلى اجراء تحسينات تقنية. ولكن العامل المعزول يجد نفسه بالتأكيد في موقع مختلف. فكل تحويل تقني يناقض مصالحه، إذ انه يفاقم من وضعه البائس لأنه يبخس قيمة قوة عمله ويجعل العمل أكثر كثافة وأكثر رتابة وأكثر صعوبة»(روزا، ١٩٧١، ص٤١).

وترجع روزا نشأة الرّأسماليّة وتطورها التاريخي لبيئة اجتماعيّة لا رأسماليّة. وفي البداية أن الرّأسماليّة تحيط في دول أوروبا الغربية البيئة الاقطاعية، التي تخرج من رحمها، فاقتصاد السخرة في الاراضي المنبسطة والحرف اليدوية في المدينة، ولكن بعد القضاء على الاقطاع، ثمة بيئة يغلب عليها الطّابع الزّراعي، مثل إنتاج بسيط للبضائع في هذا المجال. وفي الوقت نفسه نجد أن الرّأسماليّة الأوروبية تحيطها مناطق شاسعة من الثّقافات غير الاوروبية تشمل كل درجات التطور، انطلاقا من الجماعات المشاعية الأكثر بدائية المكونة من صيادين وجامعين للغذاء وحتى إنتاج البضائع الزّراعي والحرفي، وفي وسط هذه البيئة تمضي عملية تراكم رأس المال قدما(روزا، ٢٠١٦، ص٣٩). وما تقصده روزا بعبارة ((المحيط غير الرّأسماليّ)) يتضمن معنيين «انه يعني من جهة ((محيطا غير رأسماليّ في البلدان الرّأسماليّة الأم من جهة، أو في خارج حدودها من جهة أخرى. في الحالة الأولى

يمثل الاقتصاد الفلاحي والحرفيون الصّغار المحيط المذكور، أما في الثّانية فتمثل المستعمرات والدولة المتخلفة من النّاحية الاقتصاديّة هذا الوسط»(صالح، ٢٠٠٩، ص٦٩).

ترى روزا وجود تناقض جوهري في النّظام الرّأسماليّ، ويتمثل ذلك في ((القدرة اللّامحدودة لتوسع القوى المنتجة)) و((القدرة المحدودة لتوسع الاستهلاك الاجتماعيّ)). ولاسيما أن الإنتاج الرّأسماليّ يقوم في الأساس على استخراج فائض القيمة فإن من المستحيل على العمال والأجراء على الحصول ما يكفيهم من ((القيمة)) على شكل أجور لشراء ((فائض الإنتاج))(الحسيني، ٢٠٠٥، ص١٧).

ان روزا تتعاطى مع مسألة تراكم رأس المال والإنتاج من خلال عملية تجديد الإنتاج الموسع، ذلك لأنها ترى أن الإنتاج يمكن أن يضمن ظروف مزدهرة للرّأسماليّة النّقية، لأن الدّول اللّارأسماليّة لا وجود لها، أو لا وجود لطبقات اخرى غير العمال والرأسماليّين. لذلك فهي هدفت إلى تحليل الاقتصاد الرّأسماليّ عن طريق تجريد المسألة من عناصرها غير الرّأسماليّة له ما يبرره حسب فهمها لهذه المسألة(كليف، ٢٠٢٠).

تعتقد روزا أن الاشتراكيّة الدّيمقراطية الألمانية الطّليعة الأقوى والعقل المفكر للأممية. وترى أن التحليل وعملية التأمل الذّاتي يجب أن يبدأ في داخلها ولحالتها. فالاشتراكيّة الدّيمقراطية الألمانية اضطلعت لمهمة انقاذ الاشتراكيّة الأممية، وانها انتهجت النّقد الذّاتي الذي لا هوادة فيه. وتؤكد كذلك على أنه لا يوجد حزب برجوازي ولا طبقة برجوازية أن تعرض مواطن ضعفها في مرآة النّقد الواضحة امام مرأى العالم أجمع، لأن المرآة ستعكس لها في الوقت نفسه الحواجز التاريخية القائمة أمامها والكارثة التاريخية التي خلفتها ورائها(روزا، ١٩٧١، ص١٣١).

ترى روزا أن الاشتراكيّة الدّيمقراطية الرّوسية قد اوكلت إليها مهمة فريدة ولم يسبق لها في تاريخ الاشتراكيّة، وهي مهمة خلق تكتيك اشتراكيّ ديمقراطي مناسب من اجل النّضال الطّبقي البروليتاري في دولة استبدادية. فترى بعدم وجود مقارنة بين أوضاع روسيا في ذلك الوقت وبين أوضاع ألمانيا خلال حقبة تطبيق قانون ملاحقة الاشتراكيّين، ذلك لأنه نظر للأوضاع الرّوسية من جانب امني – شرطي وليس من جانب سياسيّ. بالإضافة للعراقيل الموضوع امام الحركة الجماهيرية، وهذه العراقيل وضعت بسبب وجود نقص في الحريات الدّيمقراطية، إذ إن الحركة الجماهيرية الرّوسية عرفت كيف اسقاط قيود ((الدستور)) الاستبدادي وخلق ((دستور قلاقل الشّوارع)) الخاص بها، حتى وإذا كان دستوراً كسيحاً(روزا، ٢٠١٦، ص٢٧٢).

إن انتقادات روزا للبلاشفة تركزت على موضوعات عديدة من السياسات التي اتبعوها عندما امسكوا زمام المبادرة على السلطة في روسيا، منها موقفهم من حق الأمم في تقرير

مصيرها، وهو أمر اختلفت فيه مع لينين منذ بداية انخراطها في النّشاط الثّوري، وموضوع الدّيمقراطية، فضلا عن قمع المعارضة، وحل الجمعية التأسيسية وغيرها(الحسيني، ٢٠٠٥، ص٩٣).

ترى روزا «أن الاشتراكيّة الدّيمقراطية الرّوسية لا يجب أن تنظم نفسها على هيئة تكتل فيدرالي لجماعات قومية متعددة، بل إن تصبح حزبا واحدا للإمبراطورية كلها. غير أن هذه ليست المسألة التي نريد نقاشها. فما نريد نقاشه هو درجة المركزية الضّرورية داخل الحزب الرّوسي الواحد الموحد اخذا بعين الاعتبار الظّروف المميزة التي يتوجب عليه أن يعمل ضمنها»(روزا، ١٩٧١، ص٩٣). ويلاحظ الباحث أن روزا ترى من حق اللّجنة المركزية للحزب اللّينيني تسمية اللّجان المحلية للحزب، والا يكتفي في ذلك، بل يجب عليه كذلك له الحق في الزّامها جميعاً بقوانين السلوك الحزبي، فضلا عن إصداره الأحكام من دون استئناف في مسائل مثل حل وإعادة تشكيل المنظمات المحلية، وهي بذلك ترى أن من هذه الإجراءات يصبح بإمكان اللّجنة المركزية تحديد ما يناسبها من تركيب هيئات الحزب الأعلى، وأيضاً تركيب مؤتمر الحزب، وتصبح اللّجنة المركزية العنصر المفكر الوحيد في الحزب لتكون كل الهيئات الأخرى أجهزة تنفيذية لها.

تلاحظ روزا أن العقبة الأساسيّة والبارزة التي يواجهها النّشاط الاشتراكيّ في روسيا تنجم عن سيطرة البرجوازية على مقاليد الحكم بقناع متخفي تحت نقاب القوة المطلقة، وهذا الشّيء يعطي نوع من الدّعاية الاشتراكيّة ذات الطّابع المتجرد، في الوقت الذي يرتدي فيه التحريض السياسيّ المباشر ثوباً ديمقراطياً – ثورياً(روزا، ١٩٧١، ص٩١).

يرى لوكاتش أن روزا تؤكد «بإلحاح: "إن حكومة اشتراكيّة توصلت إلى السلطة يجب مع ذلك أن تجري بأية حالة شيئاً: أخذ مقاييس تسير في اتجاه الشّروط الأساسيّة لإصلاح اشتراكيّ لاصق للصلات الزّراعية؛ يجب على الأقل أن تجنب كل ما يقطع الطّريق عن هذه التدابير". وتلوم لينين والبلاشفة بأنهم أهملوا ذلك، وبأنهم حتى فعلوا العكس»(لوكاش، ١٩٨٢، ص٢٢٣).

تربط روزا بين نضال الطّبقة العاملة وبين نضال المستعمرات في طريق المقاومة العامة للرأسماليّة. إذ انها تصدت لعدد من الماركسيّين من امثال كاوتسكي والماركسيّين النّمساويين، فهي برهنت على أن تناقضات سيرورة التراكم ستفضي إلى استحالة تطور الرّأسماليّة، ذلك لأنها لا تستطيع تحقيق التراكم الا عن طريق امتدادها إلى تشكيلات غير رأسماليّة ودمجتها بها، ولكن علاقة الإنتاج و الرّأسماليّة تنزع في اثناء عملية الاندماج هذه إلى الشّمولية لتصبح عالمية، وهذا –بحسب رؤيتها– سيهدد بالدمار الشّروط الضّرورية للتراكم(فرحان، ٢٠١٩، ص٣٧٥–٣٧٦).

وترى روزا أن للرأسماليّة اغراضاً اقتصاديّة في عملية صراعها مع مجتمعات اقتصاد المقايضة، وهذه الاغراض هي(روزا، ٢٠١٦، ص٤٠):

١. السيطرة المباشرة على الموارد المهمة لقوى الإنتاج كالارض والحيوانات والمعادن والاحجار الكريمة والحيوانات وغيرها من الموارد.
٢. تحرير القوى العاملة لاجل تسخيرها للعمل لصالح رأس المال.
٣. ادخال اقتصاد البضائع.
٤. فصل الزّراعة عن الحرفة.

وذلك ما نراه من أن اغلب الاشتراكيّين يرون أن المجتمع منقسم إلى طبقتين متعارضتين، أصحاب الملكية ومن لا ملكية لهم، وبين هذين الطّبقتين هوة لا يمكن أن تعبرها الا ثورة تتضمن تغييرا كاملا للمجتمع. على الرّغم من أن المجتمع سيتغير ويتطور في المجرى الطّبيعي للحوادث، ولكنه في الوقت نفسه ستكون حياة العمال المستغلين عبارة عن حياة بؤس وعذاب(جود، ٢٠١٢، ص٥٨).

وترى روزا بوجود فئتين اجتماعيّتين احداهما متميزة عن الاخرى، وهاتان الفئتان منتظمتان داخليا تبعا للنمط الشّيوعي، فالفئة الاول (المستغَلة) والثانية (المستغِلة). ففي الوهلة الأولى –حسبما ترى– أن هذه الظّاهرة عسيرة عن الفهم، ذلك لكونها في تناقض مع مبادئ المساواة والاخوة والديمقراطية، ذلك لأن المجتمع الشّيوعي البدائي كان يجهل تماما المبادئ والتضامن في هذا المجتمع انما كانا نتاجا للتقاليد الشّيوعية العائدة إلى روابط الدّم وإلى الملكية المشاعية لأدوات الإنتاج، عكس ما كان موجودا في المجتمع الرّأسماليّ في حينها(روزا، د.ت، ص١٣١).

وترى روزا أن واضعو النّظريات الخاصة بالجماهير المستغلة قد «ساروا في الظّلمات، وظلوا ملتصقين في الهواء حين كانوا ينادون بالمساواة بين البشر، في نفس الوقت الذي كانوا يوجهون اتهامهم ونضالهم، بشكل رئيسي، ضد عملية التوزيع غير العادلة أو ... ضد اشكال التبادل الحديثة»(روزا، د.ت، ص١١٥).

دخلت روزا لوكسمبورغ، مايو ١٨٩٨م، في الساحة الألمانية، مركز الأممية الثّانية، إلى أكبر وأعرق المنظمات الماركسيّة العالمية – الحزب الاشتراكيّ الدّيمقراطي الألماني، ومنذ البداية، أصبحت موضوع نزاع – خلاف لم يتراجع حتى يومنا هذا. بمجرد وصولها إلى ألمانيا استعدت لمواجهة التحدي الأعظم على الإطلاق لنظرية ماركس، من قبل شخص ليس بهين ابدا وهو إدوارد برنشتاين، المنفذ الأدبي للماركسيّة (المعين من قبل أقرب متعاون ماركس ، فريدريك إنجلز). تم الرّد على آرائه بشان المراجعة الأولى للماركسيّة ، بعنوان الاشتراكيّة التطورية، من قبل العديد من القادة الأرثوذكس، لكن الإصلاح أو الثّورة

في لوكسمبورغ (١٨٩٩م) هو الذي أصبح الجواب الكلاسيكي للتحريفية(Raya, 1991, p.1).

الانتهازية مدعاة لنشوب الصّراع بين روزا لوكسمبورغ وخصومها:

تتجلى اهم مواطن الخلاف بينها وبين خصومها مثل كارل كاوتسكي في مفاهيم عدة منها الانتهازية والعفوية والوعي. وبعد أن تغيرت المنظمة الماركسيّة من منظمة جماهيرية خاصة بين ليلة وضحاها إلى مؤسسة جماعية عامة، ولبست رداء جديدا تماما من حيث التنظيم، الأمر الذي جعلها منصهرة بين الصّفوف ولا يمكن فصلها عن الحراك الجماهيري الثّوري.

ومن الممكن أن نقول بأن روزا لوكسمبورغ «خاصمت ‹ كاوتسكي› بعنف وكانت قبل لينين بسنوات ، الكاشف الموفق لانتهازيته وللنتائج الخطرة التي يمكن أن ترتبها على الاشتراكيّة الدّيموقراطية الألمانية وعلى الحركة الأممية، ثم خاصمت ‹لينين› نفسه حول المسألة القومية وحول نظرية وعملية تخص التنظيم وحول امور اخرى عديدة»(روزا، د.ت١، ص٨). ففي عام ١٩٠٦ دعت روزا لوكسمبورغ الى« التمييز بين العمل الاقتصاديّ والسّياسيّ الذي شكل "خلفية واسعة للثورة". قادها تتبعها التاريخي للاضرابات من ١٨٩٦ إلى ١٩٠٥، ودراستها التفصيلية للثورة ١٩٠٥-١٩٠٦الفعلية ، إلى استنتاج أن الإضراب الجماعي هو: "طريقة حركة الكتلة البروليتارية ، في الشّكل الهائل للنضال البروليتاري في الثّورة »(Raya, 1991, p.1) واشارت إلى العمل الاقتصاديّ في «أن النّضال الاقتصاديّ هو الإرسال من مركز سياسيّ إلى آخر»(Raya, 1991, p.18) .

شعرت روزا لوكسمبورغ بأسلوب انتهازي يستخدمه البعض من القادة في الحزب لأبراز دورهم امثال لينين و كاوتسكي، فقد ألهبت روزا الموافقة الحماسية لمؤيديها عندما دعت إلى الإعلان للإضراب الجماعي، مما استدعاها إلى أن تقوم بإعداد تقاريرها إلى لويز كاوتسكي زوجة كارل كاوتكسي، بعد عودتها إلى برلين ارسلت إليها إحدى الرّسائل المؤرخة في ١٥ أذار ١٩١٠م، والتي وصفت مقالها بالمهم، لكن كارل كاوتسكي أوصى أن يتم قطع البند الذي يخص الجمهورية، وسرعان ما نشب الجدال والخلاف بينها وبين كاوتسكي عندما تم نشر المقال في مجلة لايبسغر فولكس وتم حذف الفقرة الخاصة بمسألة الجمهورية، وهذا الأمر استدعى الانتباه إلى أن كاوتسكي قد فتح ابواب النّزاع مع روزا إذ إنه بالمنظور الإداري يشغل مساحة كبيرة في المجلة التي تعتبر الأكثر شهرة في الاشتراكيّة الدّيمقراطية الألمانية ، مما زاد من حساسية روزا لوكسمبورغ فاعتبرت أن عصر الانتهازية قد بدأ، الأمر الذي أدى إلى قرارها بالانفصال المهني عن كاوتسكي(Raya, 1991, p.21) .

ومن الواضح أن نرى أن الخلاف بين لوكسمبورج وكاوتسكي كشف الاتي:

أولاً: الانتهازية السيئة التي مارسها كاوتكسي و«الحقيقة هي أن لوكسمبورغ شعرت بالانتهازية قبل أربع سنوات من أي شخص آخر، بما في ذلك لينين، والحقيقة هي أنه قبل وقت طويل من خيانة الحزب الصّريحة عند اندلاع الحرب العالمية الأولى ، رأت لوكسمبورغ في البرلمانية الاشتراكيّة للديمقراطية الاشتراكيّة انحرافًا كبيرًا عن الطّريق الثّوري شعرت بأنها مضطرة إلى عدم التخلي عن تكتيك "الإضراب العام" حتى يظهر كل من يعارضونها كانتهازيين»(Raya, 1991, p.21) .

ثانياً: انها شعرت "بالإذلال" من امتناع كاوتسكي في نشر مقالها، ومعارضته لأفكارها من قبل أن تنشر على الملاء.

ترى روزا أن برنشتاين يرفض ما يسمى بـ ((نظرية الانهيار)) كطريق تاريخ للاشتراكيّة. وما يطرحه هو ((نظرية تكيف الرّأسماليّة)) التي لا يجيب عليها برنشتاين إلا بعض التلميحات عليها. وفي الوقت نفسه يعمل كونراد شميدت على معالجة هذه المسألة على طريقة برنشتاين نفسه –حسب ما ترى روزا–، فيرى أن نضال النّقابات الخاص بأجور العمال والنضال السياسيّ من أجل الاصلاحات ستكون نتيجته اضطراد لرقابة أوسع على شروط الإنتاج، وبما أن حقوق المالك الرّأسماليّ –حسب ما يرى كونراد– ستتقلص بعض الشّيء عبر التشريع، فدوره سينحسر في الوقت المناسب ليصبح مجرد مدير، وهذا سيؤدي إلى أن الرّأسماليّ سيرى فقدان قيمة ملكيته بالنسبة له شيئاً فشيئاً، وفي النّهاية ستنتزع إدارة وتوجيه الاستغلال منه تماما، ويقام بدلاً عنه ((الاستغلال الجماعي))(روزا، ١٩٧١، ص٤٠).

وتنقد روزا رؤية برنشتاين القائلة بأن نظام التسليف ووسائل الاتصال هي عوامل تقرب من الكمال وفضلاً عن المجمعات الرّأسماليّة ما هي سوى عوامل هامة تؤدي لتكيف المجتمع الرّأسماليّ. فترى روزا أن نظام التسليف تطبيقات عدة ومتنوعة في الرّأسماليّة. فمن أهم الأدوار –حسب رؤيتها– التي يلعبها هو توسيع الإنتاج فضلاً عن تسهيل التبادل، ذلك لأن اصطدام الميل الدّاخلي للإنتاج الرّأسماليّ مع التوسع بلا حدود للملكية الخاصة يظهر التسليف كوسيلة لتخطي هذه الحدود بطرق رأسماليّة خاصة. أي أن التسليف يمكّن كل رأسماليّ من استخدام اموال الرّأسماليّين الآخرين، على شكل تسليف صناعي(روزا، ١٩٧١، ص٣٣–٣٤). أي أن التسليف يعيد «إنتاج كل التناقضات الأساسيّة في العالم الرّأسماليّ. انه يؤججها ويعجل تطورها وبذلك يدفع العالم الرّأسماليّ قدما إلى دماره. لذا فإن تكيف الرّأسماليّة فيما يتعلق بالتسليف يجب أن يكون تحطيم التسليف والغائه. فالتسليف في الحقيقة بعيد جدا عن أن يكون اداة للتكيف الرّأسماليّ. فهو على العكس من ذلك وسيلة تدمير لها أهيمتها الثّورية القصوى»(روزا، ١٩٧١، ص٣٥).

تعد روزا من الأوائل الذين خاضوا معارك ضد التحريفيين والمحرفين للماركسيّة، فهذه المعارك خاضتها بعناد وقسوة ومثابرة. إذ إن تاريخ الماركسيّة شهد محاولات تحريفية عديدة هدفها تخطئة ما جاء به ماركس. وهذا ما ادى بالنسبة لقيادة الحزب الاشتراكيّ الدّيمقراطي الألماني ولاسيما ادوارد برنشتاين في رفضهم للماركسيّة ومحاولتهم اخضاع مصالح الطّبقة العاملة –حسب رؤيتها– إلى هيمنة رأس المال(الحسيني، ٢٠٠٥، ص٣٨).

تعد كتابات برنشتاين «أول محاولة لاعطاء تبرير نظري منهجي لاتجاهات داخل الحزب رفضت الماركسيّة الثّورية في الممارسة، على الرّغم من أن برنشتاين كان ينكر ذلك بصخب. ولم يكن برنشتاين على اية حال معزولا، فقد كان له انصار ومؤيدون بين المثقفين الاشتراكيّين وقادة النّقابات وبين الألمان الجنوبيين»(روزا، ١٩٧١، ص٢٥). إذ إن كتابات برنشتاين التحريفية كانت سوى محاولات اولية من اجل وضع مبرر نظري منهجي لتيارات اشتراكيّة موجودة في الحزب الألماني الاشتراكيّ وفي الحركة الاشتراكيّة الدّيمقراطية عموما، فعلى الرّغم منأان الحزب والحركة الاشتراكيّة رفضا هذه المقالات لفظيا ولكنها بقيت تنتشر وتتمدد في صفوفها(الحسيني، ٢٠٠٥، ص٤٢).

وتنقد روزا رؤية برنشتاين في ذهابه بامكانية الاستحواذ على السلطة من خلال الانتخابات، وترى أن هذه الرّؤية مجرد وهم، وسبب رؤيتها هذا راجع إلى أن سيرورة الإنتاج تجعل من انتصار الاشتراكيّة محتملاً، لأن العلاقات السياسيّة والحقوقية تضع جدارا عاليا بين المجتمع الرّأسماليّ والمجتمع الاشتراكيّ. واما مطرقة الثّورة فهي وحدها من يمكنها الاطاحة بالرأسماليّة(صالح، ٢٠٠٩، ص٣٧).

ترى روزا أن برنشتاين يهدم الدّعائم الاشتراكيّة العلمية الثّلاث الأساسيّة، ذلك لأنه يرى أن التطور الرّأسماليّ لا يؤدي إلى انهيار اقتصاديّ شامل، فهو لا يرفض شكل معين لهذا الانهيار، وانما يرفضه جملة وتفصيلا، وبذلك يقول: يمكن للمرء أن يدعي أن انهيار المجتمع الرّاهن يعني أمرا غير الازمة التجارية العامة. أي انه يعني ما هو أسوأ: الانهيار التام للنظام الرّأسماليّ نتيجة تناقض الخاصة(روزا،١٩٧١، ص٣١).

ترى روزا أن النّظام البنكي يسهم في تعميق التناقضات الرّأسماليّة الاقتصاديّة من جهة والاجتماعيّة من جهة اخرى، لأن هذا النّظام يمثل قوة داخلية محركة لعملية النّمو الإنتاجي خارج مساحة السوق. ولكنه ينعكس سلباً على جانب اخر. لذلك تعد رؤية برنشتاين غير صائبة في موضوع الائتمان بكونها اداة أو وسيلة منعشة للاقتصاد الرّأسماليّ، ويمكن من خلالها تلطيف أو تجاوز الوضع المتأزم. إذ إن الائتمان يشدد من التناقضات بين نمط التبادل وطريقة الإنتاج من جهة، وبين نمط الإنتاج وطريقة الاستحواذ عليه من جهة أخرى.

وسبب ذلك لأن الائتمان يفصل الإنتاج عن الملكية محولا جزءاً من الرّبح إلى فائدة على رأس المال(صالح، ٢٠٠٩، ص٤٢-٤٣).

ينقد لينين روزا في موضوع مطلبها باستقلال بولونيا، ويصفه بمطلب ((طوباوي))، ذلك لأنه يرى أن روزا ((العملية)) تجهل ما كان عليه موقف ماركس من استقلال ارلندا، ويدعو لينين للتوقف عند هذه النّقطة من اجل كيفية تحليل مطلب ملموس من مطالب الاستقلال الوطني، من وجهة نظر ماركسيّة لا انتهازية(لينين، ١٩٧٦، ص١٩٧).

ثورة ١٩٠٥م:

ان العزلة التي عانى منها النّظام القيصري بسبب الأوضاع السيئة التي عاشها الشّعب الرّوسي وهزيمة روسيا في حربها مع اليابان، ادى إلى رغبة ملحة من الشّعب كافة في النّهوض بالواقع المزرى وتغيير سلطة القيصر والاطاحة بها(فرحان، ٢٠١٩، ص٢٥٦). وأما «في ٢٩ كانون الاول للعام ١٩٠٥م سافرت روزا إلى بولونيا وشاركت في الانتفاضة مدينة وارسو»(غيرين، ١٩٧٥، ص٧)

وفي عام ١٩٠٦م تعرضت روزا لوكسمبورغ ايضا إلى الاعتقال في وارسو (بعد اندلاع الثّورة) بالرّغم من انها حاولت التضليل بإبراز جواز السفر مزور، فقد كانت معروفة للسلطات الرّوسية ، وقد قدمت السلطات الألمانية المساعدة لنظرائها الرّوس في اعتقالها، «وكادت أن تنفى إلى سيبيريا، تدهورت صحتها للغاية بسبب سوء المعاملة في السجن، وبعد عدة أشهر تمكن الحزب الاشتراكيّ الدّيمقراطي من جمع ما يكفي من المال لإطلاق سراحها بالكفالة، وبعد أن غادرت المعتقل اخذت الصّورة تختلف عند روزا لوكسمبورغ في رؤيتها للقيادات المحافظة والبليدة في الحزب الدّيموقراطي الاشتراكيّ الألماني وخصوصا بعد تجربتها في سجن وارسو واحتكاكها بالثوريين الحقيقيين اثناء الاعتقال، في يونيو/ حزيران. فغادرت وارسو في ٣١ يوليو/ تموز إلى سانت بطرسبرج ثم إلى كوكالا في فنلندا للاجتماع إلى قادة حزب العمال الاشتراكيّ الدّيمقراطي الرّوسي، ومن بينهم لينين، قضت عدة أيام في نقاش معه، ورغم انها لم تقتنع بإصراره على المركزية، غير انها اعجبت بثقافته وإخلاصه الثّوري»(الحسيني، ٢٠٠٥، ص١٣٧-١٣٨).

العفوية والوعي ومنظور الخلاف عند روزا لوكسمبورغ وخصومها:

بمجرد أن اخذت الثّورة شكلها الصّريح، بدأت تجليات روزا لوكسمبورغ لهذه الظّاهرة طابعا عالميا، الأمر الذي جعلها ترسل إلى كاوتسكي رسالة في وقت مبكر من عام ١٩٠٦م قالت فيها:« لم يتوقف الإضراب العام وحده عن لعب الدّور الذي كان يلعبه في السابق. اما الآن لا يمكن أن يخطف القرار إلا بقتال عام ومباشر في الشّارع...» (Raya, 1991, p.20)

و صرحت بعد ذلك بشكل واضح عام ١٩١٧م عند تحليلها للثورة البلشفية، بأنها «تتهم لينين وتروتسكي من جهة ، وكاوتسكي ، من ناحية أخرى ، ليس فقط إنكارهم للديمقراطية ، بل حتى قمعها»(Jon, p.39).

وبحلول منتصف اب، عندما دعت لوكسمبورج إلى الاعتصام الشّامل بما فيها قيادات الحزب والنقابات المحافظة، « بدأت لوكسمبورغ في الواقع في التساؤل ليس فقط بوضع القيادة النّقابية المحافظة، لكن بعلاقة القيادة الماركسيّة بالعفوية»(Raya, 1991, p.20) .

ومن جهة اخرى نرى أن مفهوم العفوية قد تم تعتيمه من قبل كاوتسكي، فهو قلل من شأن العفوية واعطاها تفسيرا مغايرا عن التفسيرات التي رسخها ماركس وانجلز، فكاوتسكي يرى «أن الوعي الاشتراكيّ ينبع من العلم. غير أن حملة العلم هم ايضا الذين ينقلون الاشتراكيّة العلمية إلى العمال وهنا يزعم كاوتسكي بأن الوعي الاشتراكيّ هو عنصر مستورد من خارج النّضال الطّبقي الذي تخوضه البروليتاريا، وليس شيئا ينبثق من هذا النّضال بشكل عفوي»(غيرين، ١٩٧٥، ص١٧).

اعطت هذه المسلمات الشّرعية لروزا لوكسمبورغ عام ١٩١٣م بأن تصدر كتابها الشّهير (تراكم رأس المال)، والذي فسرت فيه تاثير الامبريالية من النّاحية الاقتصاديّة، وطرحت بكتابها عدة مفاهيم اختلف كثيرا عما وضعه كارل ماركس، مما اثارت به جدلا منقطع النّضير (الحسيني، ٢٠٠٥، ص١٣٩)، وبصورة أو بأخرى نرى روزا لوكسمبورغ قد خالفت ماركس بعدة مفاهيم عن السياسة الرّأسماليّة في البنية الاقتصاديّة، من حيث إن ماركس قال: « إن الرّأسماليّة تقوم على الاستثمار وبدونه سينهار النّظام. نظرًا لإصراره على أن الإنتاج يفوق الطّلب دائما»(Jason, 2013, p.13).

المصادر والمراجع

المصادر العربية

ا.م. جود، النّظرية السياسيّة الحديثة، ترجمة: عبد الرّحمن صدقي ابو طالب، مراجعة: علي ادهم، الهيئة العامة لقصور الثّقافة، د.م، ط٢، ٢٠١٢.

توني كليف، تراكم رأس المال، ترجمة: وليد ضو، الحوار المتمدن، تاريخ الزّيارة: ٣/ ٣/ ٢٠٢٠، وقت الزّيارة: ١٠:٠١.

جورج لوكاش، التاريخ والوعي الطّبقي، ترجمة: حنا الشّاعر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

دانييل غيرين، روزا لوكسمبورغ، ترجمة ابراهيم العريس، طباعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٧٥.

روزا لوكسمبورغ، المجتمع البدائي وانحلاله، ترجمة: ابراهيم العريس، دار ابن خلدون، بيروت، د.ط، د.ت.

روزا لوكسمبرغ، كتابات مختارة، دار الطّليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧١، ص٨٧.

روزا لوكسمبورغ، رسائل الحب، ترجمة نهلة الشّهال.دار ابن خلدون للنشر،بيروت، د.ت.

روزا لوكسمبورغ، عن الثّورة والحزب وأفول الرّأسماليّة: نصوص مختارة، تحرير: يورن شوترومبف، ترجمها عن الألمانية: احمد فاروق، مراجعة: محمد ابو زيد، مؤسسة روزا لوكسمبورغ، برلين، ط١، ٢٠١٦.

صالح ياسر حسن، روزا لوكسمبورغ وإشكاليات التحليل الاقتصاديّ للرأسماليّة، مطبعة دار الرّواد المزدهرة للطباعة والنشر، بغداد، ط١، ٢٠٠٩.

فرحان قاسم، لِمَ الماركسيّة ..؟: مسارات من تاريخ الاشتراكيّة في العالم، دار الرّواد المزدهرة، بغداد، ط١، ٢٠١٩.

فلاديمير لينين، المختارات، مج٥، ترجمة ونشر: دار التقدم، موسكو، ط١، ١٩٧٦م.

مازن الحسيني، قراءة في فكر روزا لوكسمبورج، دار التنوير للنشر والترجمة والتوزيع، رام اللّه، ط١، ٢٠٠٥.

References:

Daniel Guerrin, Rosa Luxemburg, translated by Ibrahim Al-Arees, Arab Foundation for Studies and Publishing, ed. 1, 1975.

Dunayevskaya, Raya. Rosa Luxemburg, Women's Liberation, and Marx's Philosophy of Revolution. Urbana: University of Illinois Press, 1991.

Farhan Qassem, Why Marxism …?: Paths from the History of Socialism in the World, The Thriving House of Arrowad, Baghdad, 1st Edition, 2019.

Georges Lukacs, History and Class Consciousness, translated by: Hanna Al-Shaer, Dar Al-Andalus for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 2nd Edition, 1982.

Jason Schulman, Rosa Luxemburg Her Life and Legacy, PALGRAVE MACMILLAN, New York, First published in 2013.

Jon Nixon Rosa Luxemburg and the Struggle for Democratic Renewal.

Mazen Al-Husseini, Reading in the Thought of Rosa Luxemburg, Dar Al-Tanweer for Publishing, Translation and Distribution, Ramallah, Edition 1, 2005.

Mother. Judd, The Modern Political Theory, translated by: Abd al-Rahman Sidqi Abu Talib, revised by Ali Adham, The General Authority for Cultural Palaces, D.M., Edition 2, 2012.

Rosa Luxemburg, Letters of Love, translated by Nahla al-Shahal, Ibn Khaldun Publishing House, Beirut, d.

Rosa Luxemburg, On Revolution, the Party and the Decline of Capitalism: Selected Texts, edited by: Jörn Shutterumpf, Translated from

German by Ahmed Farouk, Revision by: Muhammad Abu Zeid, Rosa Luxemburg Foundation, Berlin, 1st Edition, 2016.

Rosa Luxemburg, Selected Writings, Taleea'a House for Printing and Publishing, Beirut, 1st Edition, 1971, p. 87.

Rosa Luxemburg, The Primitive Society and Its Disintegration, Translated by: Ibrahim Al-Aris, Dar Ibn Khaldoun, Beirut, Dr. T., d.

Saleh Yasser Hassan, Rosa Luxemburg and the Problems of the Economic Analysis of Capitalism, The Thriving Pioneer House Press for Printing and Publishing, Baghdad, 1st Edition, 2009.

Tony Cliff, Capital Accumulation, Translation: Walid Daou, Civilized Dialogue, Date of visit: 3/3/2020, Time of visit: 10:01.

Vladimir Lenin, Anthology, Vol. 5, translated and published: The Progress House, Moscow, 1st Edition, 1976 AD.